

# سبعة عشر عاماً والحزب الشيوعي الكوردستاني يناضل من أجل ضمان حقوق الشباب ومساواة المرأة

## الإضراب الجماهيري والحزب السياسي والنقابات



وفي هذه الأثناء، قام الإضراب العام الكبير الثاني في نوفمبر والذي شمل الإمبراطورية كلها رداً على مشروع «دوما بولجين» وقد أعطى عمال سكة الحديد إشارة البدء لهذا الإضراب، وحصل هذا العمل العظيم الثاني الذي قامت به البوليتاريا طابعا مختلفا جوهريا عن طابع العمل الأول في ينابر، فقد لعب الوعي السياسي دورا أكبر بكثير في الإضراب الثاني، ولكن هنا أيضا وبالتأكيد كان السبب المباشر لاندلاع الإضراب سببا ثانويا وعرضيا في الظاهر: خلاف عمال سكة الحديد مع الإدارة حول صندوق التقاعد. ولكن نهوض البوليتاريا نهوضا عاما فيما بعد سار طبقا لأفكار سياسية واضحة، لقد كان المدخل إلى إضراب ينابر مسيرة اتجهت إلى القيصير مطالبة بالحرية السياسية، أما إضراب أكتوبر فقد ذهب إلى غير رجة بكونية الدستورية القيصرية.

وبفضل النجاح الفوري الذي أحرزه الإضراب العام وبيان القيصير في ٣٠ أكتوبر، لم يتفرق الحركة على نفسها بل اندفعت إلى الأمام بنشاط عموم في ظل حرية سياسية حديثة العهد. فتوالفت التظاهرات والاجتماعات والندوات العامة وفي النهاية جاءت المذاهب الدموية لتستثير إضرابات جماهيرية وتظاهرات جديدة، هكذا كانت الصورة العاصفة لأيام نوفمبر وديسمبر. ففي نوفمبر قام أول إضراب جماهيري تظاهري بتحرير من الاشتراكيين الديمقراطيون في بطرسبرج وذلك احتجاجا على الأعمال المروية في بولندا وليفونيا وعلى إعلان حالة الحصار فيها.

وفي النهاية أدى الهياج الذي تبع الفترة الدستورية، بالإضافة إلى البطيئة الراجعة، إلى اندلاع الإضراب الجماهيري العام الثالث في ديسمبر على امتداد الإمبراطورية كلها. وفي هذه المرة كان سير الإضراب وتوجهته مختلفان تماما عنهما في المرتين الأوليين. فلم يتحول الإضراب الجماهيري بفعل تطوره الداخلي المتسارع إلى انتفاضة معلنة وإلى متاريس مسلحة تتحرك فتكون الفترة فترة أفعال بدل الأفعال وتتمشى من الانتفاضة الجزئية الهيمية التي قد تبدو إذا ما أخذ كل منها على حدة «تهاديا»، «وغير ناجحة» وتأتي سنة ١٩٠٦ لتجلب معها انتخابات الدوما وحوادث الدوما. فتقوم البوليتاريا بفعل غريزية ثورية قوية ومعروفة واضحة بالوضع بمقاطعة المهزلة الدستورية القيصرية، فتحتل الليبرالية مركز الخلبة الثانية لبعضة أشهر. فيبدو أن الوضع في عام ١٩٠٤ كان الحظة للتحول النقابي والعمل التنظيمي. فلم يعد أحد يتكلم عن الإضراب الجماهيري بينما تنطلق صواريخ ضجة الخطابة الليبرالية يوما إثر آخر. وفي النهاية تتمزق الستارة الحديدية ويتفوق المثلثون ولا يبقى من صواريخ الليبرالية غير البخار والدخان. أما عمال اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي الدعوة إلى إضراب جماهيري كظاهرة للدوما وعودة فترة الخطابة الليبرالية، أما هذه المحاولة فتذهب هباءا لأن دور الإضراب الجماهيري السياسي قد استنفذ، ولكن في الوقت ذاته لم يتحقق بعد الانتقال من الإضراب الجماهيري إلى الانتفاضة الشعبية العامة. لقد انتهت الفترة الليبرالية ولكن الفترة البروليتارية لم تبدأ بعد، وبذلك يظل المسح خاليا لبعض الوقت.

يصح أيضا على موسكو وأوديسا وكيف ونيكولاييف وساراتوف وفورونيج وسامارا ونيجني نوفجورود وكل البلدان الكبيرة في روسيا وبدرجة أعلى في بولونيا. وصارت النقابات في البلدان المختلفة تسعى للاتصال ببعضها البعض لعقد مؤتمرات. لكن نهاية «الفترة الدستورية» وعودة الرجعية في ديسمبر ١٩٠٥ وضعت لفترة من الزمن حد للنشاط العلني الواسع للنقابات ولكنها على أية حال لم تنقض عليها تماما. فهي لا تزال تعمل كمنظمات سرية وتقود بين الحين والآخر نضالا علنيا من أجل رفع الأجور. وتبني حياة نقابية غربية لكنها مزيجاً من الشرعية واللا شرعية، حياة تتوافق مع الوضع الثوري المتناقض جدا.

لكن العمل التنظيمي يتوسع ويمتد في خضم النضال بطريقة شاملة إن لم نقل بطريقة مغالبة في وقتها. فمثلا تزود النقابات الاشتراكية الديمقراطية في بولندا وليتوانيا، وهي التي مثلت في المؤتمر الأخير خمسة ممثلين من بين عشرة آلاف مثل حضروا المؤتمر، تزود بالأنظمة الأساسية المعتادة وبطاقات العضوية والمهندسون وعمال الطباعة في وارسو ولودز هم أنفسهم الذين وقفوا وراء المتاريس في يونيو ١٩٠٥ وكانوا في ديسمبر ينتظرون فحسب الإشارة من سانت بطرسبرج لبدء أو القاتل في الشوارع، أما هؤلاء فإنهم اليوم يجدون الوقت والاهتمام الكافي لمناقشة الأنظمة الأساسية للنقابات بحماسة وذلك بين إضراب جماهيري وآخر وبين السجن وإفقال المصانع ودمهم وفي ظل حالة من الحصار. ولقد قام هؤلاء الذين كانوا مقاتلي المتاريس بالأمس وسيكونون مقاتلي متاريس الغد، قاموا أكثر من مرة بتوزيع قاداتهم في الاجتماعات وتنظيمهم بأهم سينسجون في الحزب وما ذلك إلا لأن سرية في ظل اضطهاد بوليسي حيث، وتستمر هذه الحماسة حتى اليوم. فمثلا ظهر خلال الأسابيع الأربعة من يوليو ١٩٠٦ خمسة عشر نقابة جديدة في إيكاتربورغ وست في كوستروما، وعدد منها في كيتف وبولندا ومولسكند وشركاسي وبروسكروفو وفي آخر البلدان غير الهامة في المقاطعات.

ولقد تقرر في جلسة مجلس اتحادات عمال موسكو في ٤ يونيو من هذا العام، وبعد قبول التقارير التي قدمتها وفود النقابات المختلفة، تقرّر «أن على النقابات أن تضيق أعضائها وتكبح اضطرابات الشوارع لأن الوقت غير مناسب للإضراب الجماهيري. وفي وجه احتمال قيام الحكومة بالاستنزاف، يجب أن تتخذ الاحتياطات لتلا تدفق الجماهير إلى الشوارع». وقرر المجلس أيضا أنه إذا ما بدأت إحدى النقابات إضرابا فإن على النقابات الأخرى أن تمتنع عن القيام بأي تحركات من أجل الأجور. واليوم فإن النقابات توجه معظم النشاطات الاقتصادية.

هكذا شكل النضال الاقتصادي العظيم الذي تقدم منذ الإضراب العام في ينابر والذي لم يتوقف حتى يومنا هذا، شكلا خلفه عريضة للثورة. ومن هذه الخلفية والتفاعل المتبادل المستمر مع التحريض السياسي والأحداث الخارجية للثورة تنشأ هنا وهناك انفجارات معزولة جينا، ومنها آخر ينشأ عمل بروليتاري عالم عظيم. وهكذا تتابع على هذه الخلفية الأحداث التالية الواحدة منها لآخر. حدث في وارسو في تظاهرة أول ماي إضراب عام لم يسبق له مثيل وانتهى بصدام دموي بين الجمهور العزل وبين الإضرابيين. وفي لودز حدث تجمع جماهيري في يونيو فقام الجنود بتفريقه بالقوة، مما أدى إلى تظاهرة ضمت ١٠٠ شخص في جنازة بعض ضحايا قسوة الجنود وأدى ذلك إلى إصطدام جديد مع الجنود وفي النهاية تحول الأمر في ٢٤ و ٢٥ يونيو إلى أول قتال متاريس في الإمبراطورية القيصرية. وبالمثل انفجر في يونيو أول تمرد كبير يقوم به بحارة أسطول البحر الأسود، وتنجح التمرد في ميناء أوديسا عن حادث بسيط وقع على ظهر الممرعة بومكين في الحال حدث لهذا التمرد ردود فعله في أوديسا ونيكولاييف شكل إضراب جماهيري عنيف. وكسدى لذلك حدثت فيما بعد إضرابات جماهيرية وتمرد قام به البحارة في كرونشادت وليبير وفلاديفستوك.

في شهر أكتوبر قامت تجربة سانت بطرسبرج العظيمة: تحقيق يوم عمل من ٨ ساعات. فقد قرر المجلس العام لنديوي العمال أن يتحقق يوم العمل من ٨ ساعات بطريقة ثورية. وكان يعني أن على جميع العمال أن يخربوا أصحاب العمل في يوم محدد متفق عليه أنهم لا يرغبون في العمل أكثر من ٨ ساعات وأن يغادروا أماكن عملهم عند انقضاء الساعات الثمانية. فكان أن صادرت هذه الفكرة فرصة للتحريض الهنيئ وقبيلتها البوليتاريا بحماس وفتنتها، ولكن هذا لم ينجب البوليتاريا تضحيات عظيمة. فمثلا كان يوم العمل من ٨ ساعات يعني لعمال النسيج هبوطا كبيرا في أجورهم فقد كانوا حتى ذلك الحين يعملون ١١ ساعة في اليوم على أساس الأجر للقطعة، بيد أنهم قبلوا ذلك طوعا، وبذلك وخلال أسابيع واحد من العمل من ٨ ساعات كل مصنع ومعامل بطرسبرج ولم يعرف فرح العمال لذلك الحد. ولكن سرعان ما نظم أصحاب العمل الذين أخذوا في البداية على حين غرة، فداعهم وهددوا في كل مكان بأنهم سيفلقون مصانعهم. فكان أن أذعن بعض العمال وقبلوا التفاوض فحصلوا على يوم عمل من ١٠ ساعات هنا ويوم عمل من ٩ ساعات هناك، ولكن نجية بروليتاريا بطرسبرج عمال المؤسسات الهندسية الحكومية الكبيرة، لم يرف لها جفن، فكان أن أغلقت المصانع دون العمال وألقيت به ٤٥-٥٠ ألف عامل إلى الشارع. وعند التسوية تحولت حركة يوم العمل من ٨ ساعات إلى إضراب عام في ديسمبر، ولكن إغلاق المصانع على نطاق واسع أعاق الإضراب إلى حد بعيد.

السياسية في خضم العاصفة الثورية في روسيا، ولدت من الثورة ذاتها، هذا في الوقت الذي يحرص فيه دعاة التنكيات الانتهازية في ألمانيا على منع أية ربح من أن تهب على ميهاء برلمانيتهم الراكدة من أجل «الدستورية الصناعية» ذاتها. وفي الواقع ليس ما حدث مجرد رفع مستوى معيشة الطبقة العاملة أو مستواها الثقافي لمستوى المعيشة المادي كمرحلة دائمة من الرفاهية ليس له مكان دائم في الثورة. فالثورة بامتلاكها بالتناقضات والمفارقات تؤدي في الوقت ذاته إلى انتصارات اقتصادية مذهلة وإلى أعنف أعمال الانتقام من جانب الرأسماليين فتكون النتيجة أن يتحقق يوم عمل من ٨ ساعات اليوم ليجري إقبال المصانع على نطاق واسع وطرده العمال منها وتعرض مليون من البشر للمجاعة فعلا في الغد.

لكن الأمر الأهم في هذا المد والجزر السريع لموجة الثورة هو ما ترتب على المستوى العقلي: النمو الثقافي والفكري للبروليتاريا الذي يتقدم فقرات وقفات والذي يضمن تقدم البروليتاريا فيما بعد تقدما لا يقاوم في نضالها الاقتصادي كما في نضالها السياسي. ولا يقتصر الأمر على ذلك، بل إن علاقات العامل صاحب العمل تتقلب، فمذد الإضراب العام في ينابر وإضرابات عام ١٩٠٥ التي تبعته ألغيت في واقع الأمر مبدأ «سيادة الرأسمالي على المصنع». ففي كل المصانع الكبيرة وفي كل المراكز الصناعية الهامة نشأت اللجان العمالية كما لو كانت قد نشأت من تلقاء نفسها، ومع هذه اللجان فحسب يتفاوض صاحب العمل وهي التي تحسم كل النزاعات.

وفي النهاية هناك أمر آخر. إن الإضرابات «الفوضوية» ظاهرا والعمل الثوري «غير المنظم» بعد الإضراب العام في ينابر تصبح اليوم نقطة انطلاق عمل تنظيمي عموم. وبذلك يبق التاريخ من بعيد هازنا بالبروليتاريا الذين يقضون على مقابيل الأسور في النقابات الألمانية. فالنظميات الصلبة التي يفترض قادة النقابات الألمانية أنها يجب أن تحصن لتصبح قلعة لا تخترق من أجل القيام بالإضراب العام في النهاية، هذه النظميات ولدت في روسيا على العكس من ذلك من الإضراب الجماهيري وبينما يخاف الرصاة على النقابات الألمانية أن تنتهت هذه النظميات في الدوامية الثورية كما لو أنها كانت زجاجا نادرا، فإن الثورة الروسية تبين لنا صورة مخالفة تماما. فمن الدوامية والعاصفة ومن نار الإضراب الجماهيري وتقال الشوارع تنشق النقابات ثانية كما ظهرت فينوس من الأمواج فتنبئ قوة تنظيمية.

وهنا نورد مثلا صغرا يصح على الإمبراطورية جمعها. ففي المؤتمر الثاني للنقابات الروسية في نهاية فبراير ١٩٠٦ في سانت بطرسبرج، قاس مثل نقابات بطرسبرج في تقريره عن تطور المنظمات النقابية في العاصمة القيصرية:

«لقد كان ٢٢ يناير ١٩٠٥ الذي قضى على نقابة غابون نقطة انطلاق. فقد تعلمت أعداد كبيرة من العمال بتجربتها أن تقدر وتفهم أهمية التنظيم وتعلمت أن العمال وحدهم هم من يستطيع خلق هذه المنظمات. ومن ثم نشأت النقابة الأولى، نقابة عمال الطباعة، في علاقة مباشرة مع حركة ينابر. فقامت الهيئة المنصبة لوضع التعرفة بصياغة بنود النظام الأساسي للنقابة، وظهرت هذه النقابة إلى الوجود في ١٩ يوليو. وفي حوالي ذلك الوقت أيضا ظهرت إلى الوجود نقابة عمال المكتبات ونقابة ماسكي الحسابات.

«وبالإضافة إلى هذه المنظمات التي وجدت عنلية تقريبا، ظهرت من ينابر حتى أكتوبر ١٩٠٥ نقابات نصف مشروعة وغير مشروعة. فمثلا كانت نقابة مساعدي الكيميائيين ونقابة الموهلين التجاريين ينتمیان إلى النقابات نصف المشروعة. أما النقابات غير المشروعة فتستحق الانتباه من بينها نقابة الساعاتيين التي عقدت جلستها السرية الأولى في ٢٤ أبريل. فقد فشلت كل المحاولات لعقد اجتماع علني عام بسبب المعارضة العنيدة التي أبدتها الشرطة وأبدتها غيرة التجارة نياية عن أصحاب العمل، ولكن هذا لم يمنع النقابة من أن توجد. فعمدت اجتماعات سرية للأعضاء، في ٩ يونيو وفي ١٤ أغسطس عدا عن الاجتماعات اللجنتية للنقابة. أما نقابة الحياض والمخاطبات فقد تأسست في ١٩٠٥ في اجتماع حضره سبعون خياطا وعقد في غاية. فبعد بحث مسألة بحث مسألة إقامة نقابة شكلت هيئة كلفت بصياغة النظام الأساسي، ولكن كل محاولات هذه الهيئة لتحقيق وجود شرعي للنقابة ذهبت أدراج الرياح، فاقصر عملها على التحريض وضم أعضاء جد في المصانع المختلفة. ولما تقية صانعي الأذية مصيرها مشاهبا، ففي يوليو عقد اجتماع سرى في الليل في غاية قريبة من المدينة، وحضر أكثر من ١٠٠ عامل، وألقي فيه تقرير عن أهمية الحركة النقابية وتاريخها في أوروبا الغربية وهماهما في روسيا. ثم تقرر تشكيل نقابة، واختيرت هيئة من ١٧ عضوا لتصبح بنود النظام الأساسي وتدعو إلى اجتماع لصانعي الأذية. فوضع النظام الأساسي، ولكن تبين في هذه الأثناء أنه ليس بالإمكان طباعته ولم يعقد الاجتماع العام».

كانت هذه البدايات الصعبة الأولى. ثم أتت أيام أكتوبر، أيام الإضراب العام الثاني وبيان القيصير في ٣٠ أكتوبر و«الفترة الدستورية» القيصرية. فألقى العمال بأنفسهم بحماسة متقدة إلى أمواج الحرية السياسية ليستخدموها بهدف العمل التنظيمي. وفي الحال جرى تنظيم النقابات بالإضافة إلى الاجتماعات السياسية اليومية والندوات وإنشاء النوادي. فظهرت في أكتوبر ونوفمبر أربعون نقابة جديدة في سانت بطرسبرج، وفورا أنشئ «مكتب مركزي»، أي مجلس للنقابات، وظهرت صحف لنقابات مختلفة ومنذ نوفمبر بدأت تصدر صحيفة مركزية هي «النقابة».

يصح الكلام المتعلق بسانت بطرسبرج والوارد أعلاه،

٢٢ فبراير على يوم عمل من تسع ساعات، ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل طالبوا بيوم عمل من ثماني ساعات، فحصلوا عليه كما حصلوا على زيادة في الأجور بعد إضراب لاحق استمر أسبوعا.

وفي صناعة البناء بدأ العمال جميعا في ٢٧ فبراير إضرابا، مطالبين بيوم عمل من ثماني ساعات طبقا للشعار الذي طرحه الاشتراكيون الديمقراطيون، فحصلوا في ١١ مارس على يوم عمل من عشر ساعات وزيادة في الأجر لكل أصناف العمال وكذلك حصلوا على دفع الأجور أسبوعيا بانتظام. كما أن الدهانين والحمايين والحادين حصلوا جميعا على يوم عمل من ثماني ساعات دون تخفيض في الأجور.

أما مشاغل التليفون فقد أضربت مدة عشرة أيام فحصلت على يوم عمل من ثماني ساعات وزيادة في الأجور تبلغ ١٠ إلى ١٥٪. كذلك حصل عمال مؤسسة للنسيج يبلغ عددهم ١٠ آلاف عامل على إقاص يوم العمل ساعة واحدة وزيادة أجور تبلغ ٥ إلى ١٠٪، وذلك بعد إضراب استمر تسعة أسابيع. كذلك نتجت نتائج مشابهة متنوعة جدا في الفروع الصناعية القديمة في وارسو ولودز وسوسونوفيتز.

وفي روسيا ذاتها لم يكسب يوم عمل من ٨ ساعات في عام ١٩٠٤ سوى بضعة أصناف من عمال البنترول في باكو، وفي مايو ١٩٠٥ كسب عمال السكر في مقاطعة كيف وفي يناير ١٩٠٥ أقر يوم عمل من ٨ ساعات في كل مطابع روسيا (وفي الوقت ذاته زيد معدل أجر القطعة والقيمت الغرامات المالية). وفي فبراير من العام ذاته تحقق يوم العمل من ٨ ساعات في مصنع يصنع الأدوات الطبية للجيش وفي مصنع أنشأت وفي مصنع طلاقات في سانت بطرسبرج. وفيما بعد تحقق يوم العمل من ثماني ساعات في مناجم فلاديفستوك وفي مارس تحقق في الماشغل الميكانيكية الحكومية وفي مايو حققه موظفو سكة الحديد البوليتاريا في مدينة تفليس. وفي الشهر ذاته تحقق يوم عمل من ٨ ساعات في مصنع نسج القطن الكبير في مورسوف (وفي الوقت ذاته إلغاء العمل الليلي وزيادة الأجور بنسبة ٨٪)، وفي يونيو تحقق يوم عمل من ٨ ساعات في بعض معامل البنترول وفي سانت بطرسبرج وموسكو، وفي يوليو تحقق يوم عمل من ٨ ساعات في ورش الحداد في أحواض سانت بطرسبرج وتحقق في نوفمبر في كل مؤسسات الطباعة الخاصة في أوريل. (وفي الوقت ذاته تحقق زيادة في معدلات الوقت بنسبة ٢٠٪ وزيادة في معدلات أجور العمل بالقطعة تبلغ ١٠٠٪. كما تم كذلك إنشاء مجلس تفاهم مثل فيه العمال وأصحاب العمل بالتساوي).

وقد تحقق يوم عمل من ٩ ساعات في فبراير في كل مشاغل سكة الحديد وفي كثير من مشاغل الحكومة العسكرية منها والبحرية وفي معظم مصانع مدينة «برديانسك» وفي كل مطابع مدينة «بولتافا» ومدينة «موسك» كما تحقق يوم عمل من ٩ ساعات في أحواض السفن وفي الماشغل الميكانيكية وفي المسابك في بلدة «نيكولاييف» كما تحقق في يونيو كثير من المطاعم والمقاهي وذلك بعد إضراب عام قام به عمال المطاعم (وفي الوقت ذاته حصلوا على زيادة في الأجور تبلغ ٢٠ إلى ٤٠٪ وعظلة مقدارها أسبوعا في السنة).

وتحقق يوم عمل من ١٠ ساعات في كل مصانع من لودز وسوسونوفيتس وريغا وكوفنو وأذفال ودرغوات ومنسك وخاركوف وكذلك في مخايز أوديسا وبين العمال الميكانيكيين في كيشين وفي بعض مشاغل صانع المعادن في سانت بطرسبرج وفي مصانع الثناب وفي كوفنو (صاحبت ذلك زيادة في الأجور تبلغ ١٠٪) وفي كل الماشغل الحربية الحكومية بين عمال الأحواض. وكانت زيادات الأجور أصغر بشكل عام من تقليل ساعات العمل ولكنها كانت على الدوام أكثر أهمية: ففي وارسو ثبتت دائرة العمال البلدية في منتصف مارس سنة ١٩٠٥ زيادة عامة في الأجور تبلغ ١٥٪ وفي مركز صناعة النسيج بلغت زيادة الأجور ٧-١٥٪، وفي كوفنو أصابت زيادة الأجور ٣٣٪ من العمال. وأقر حد ثابت أدنى للأجور في بعض المخايز في أوديسا وفي بعض أحواض بناء السفن في سانت بطرسبرج.

وعنى عن القول أن هذه التنازلات قد سببت حالة مرة هنا ومرة هناك ولكن هذا لم يكن على أية حال سوى سبب لتجدد النضال أدى إلى نضالات ثارية أكثر مرارة. هكذا جعلت فترة الإضرابات في ربيع ١٩٠٥ نفسها مدخلا لسطلة لا متناهية من النضالات الاقتصادية المنتشرة أبدا المقاطعة دوما التي استمرت إلى يومنا هذا. وفي الفترة التي كان يبدو فيها ركود ثوري ظاهري في روسيا وبينما تم تعد البرقيات تحمل أنباء مثيرة من مسرح الحرب الروسي إلى العالم الخارجي، عندما أصبح الأوروبي الغربي يلقى جبريدته جانبا نجبية أمل ملاحظا «أن ما من شيء يجري في روسيا، في ذلك الحين كان العمل السري العظيم للثورة يجري في الواقع بلا توقف يوما فيوم وساعة إثر أخرى في قلب الإمبراطورية ذاتها. ولقد أدت التنازلات الاقتصادية الكثيفة الدوب بسرعة مختصرة إلى انتقال الرأسمالية من مرحلة التراكم البدائي ووسائل العمل الأبوية غير المنهجية إلى مرحلة متحضرة حديثة جدا.

أما في الوقت الحاضر فإن يوم العمل الحقيقي في الصناعة الروسية لا يقل عما يفرضه التشريع الصناعي الروسي (أي يوم العمل الشرعي من ١١ ساعة) فحسب ولكنه يتخطى أيضا الظروف القائمة في ألمانيا. ففي معظم قطاعات الصناعة الروسية يسود يوم عمل من ١٠ ساعات بينما يعتبر يوم العمل من ١٠ ساعات في ألمانيا هدفا غير قابل للتحقيق طبقا للتشريع الاجتماعي الأنكى من ذلك أن «الدستورية الصناعية» التي طال الشوق إليها والتي تحضى بحماسة بالغة في ألمانيا ولدت فعلا مع الدستور

روزا لوكسمبورج الجزء الثالث

### ٣ - تطور حركة الإضراب الجماهيري في روسيا

لم يكن النضال الاقتصادي هنا في الواقع تطلعا، ولا كان هدرا للقوى، بل كان مجرد تغيير لجهة القتال. كان تحولاً فاجئاً وطبيعياً لأول صدام عام مع الحكم المطلق إلى تصفية حسابات عامة مع رأس المال اتخذت بحكم طبيعتها شكل نضالات اقتصادية فردية مبعثرة. لم يتحطم العمل الطبقي السياسي في ينابر يتحطم الإضراب العام إلى إضرابات اقتصادية فردية مبعثرة. لم العكس، فبعد أن استنفذ كل محتوى يمكن للعمل السياسي في الوضع المحدد من مرحلة معينة من الثورة، اندلع هذا العمل ثانية، أو بالأحرى تحول إلى عمل اقتصادي.

ما الذي كان يقود الإضراب العام في ينابر أن يحق في الواقع ما من أحد سوى من يفكر إلى العقل يمكن أن يتوقع انهيار الحكم المطلق بضربة واحدة بالقيام بإضراب عام عاليه من الثقافة السياسية والوعي الفوضوية. يجب أن تطيح البوليتاريا بالحكم المطلق في روسيا، ولكن حتى تستطيع البوليتاريا ذلك فإنها بالكنبيات والمنشورات، بل فحسب في المدرسة السياسية الهبة بواسطة القتال وفي القتال خلال المسيرة الطويلة للثورة. أكثر من ذلك، لا يمكن الاطاحة بالحكم المطلق في اللحظة التي ترغب فيها في ذلك مجرد بذل «الجهد» و«التحمل» الضروريين، فسقوط الحكم السياسي ليس غير التعبير الخارجي عن التطور الاجتماعي والبطني الداخلي للمتجمع الروسي.

فلكي تمكن الاطاحة بالحكم المطلق يجب أن تكون روسيا البرجوازية قد تشكلت داخليا، أي بتقسيماتها الطبقة الحديثة. وهذا يتطلب استقطاب الشرائح الاجتماعية والمصالح المختلفة، بالإضافة إلى تصفية الأحزاب البروليتارية الثورية وكذلك الأحزاب الليبرالية والراдикаلية البرجوازية الصغيرة والحفاظة والرجعية، إنه يتطلب وعيا للذات ومعرفة بها وعيها طبقيا لا تحوزه فحسب شرائح الشعب بل وشرائح البرجوازية أيضا. ولكن هذا لا يتحقق ويشمر إلا بالنضال، إلا عبر عملية الثورة ذاتها، عبر مدرسة التجربة الواقعية، وبالانضمام والمباداة مع البوليتاريا وكذلك بين الطبقات بعضها ببعض. إن الدور القيادي الذي تلعبه البوليتاريا يعنى بوقت، من جهة، هذا الانقسام الطبقي والنضوج الطبقي للمجتمع البرجوازي وكذلك نضالة ضد الحكم المطلق، ولكن هذا الدور من جهة أخرى يمض ويعجل في هذا الانقسام والنضوج والنضال. فتتقاطع التيارات الداخلية للعلمية الاجتماعية، عملية الثورة، وتوقف بعضها بعضا وترتد التناقضات الداخلية للثورة ولكنها في النهاية تجعل انفجارات الثورة وبالتالي تجعل هذه الانفجارات أكثر عنفا.

لذا يمكن صياغة هذه المسألة البسيطة والأبسية المحضة في الظاهر على النحو التالي: الاطاحة بالحكم المطلق عملية اجتماعية طويلة مستمرة ولحها يتطلب عزيمة كاملة لأسس المجتمع، فيصبح الجزء الأعلى أسفلا والجزء الأسفل في الأعلى، يجب أن يتحول «النظام» الظاهري إلى فوضى ومن ثم يجب أن تتحول الفوضى «الفوضوية» إلى نظام جديد. ولم يكن الإضراب العام في ينابر هو وحده الذي لعب دورا لا غنى عنه في عملية تحول روسيا القديمة تحولاً اجتماعيا، بل لعبت هذا الدور أيضا عواصف الربيع والصفى العام تلت هذا الإضراب. ولقد أسهمت العلاقات العامة المبررة بين العمل المأجور ورأس المال في اجتذاب الشرائح المختلفة من الشعب إلى الوعي الطبقي للبروليتاريا والجداب الشرائح المختلفة من البرجوازية إلى الوعي الطبقي للبرجوازية الليبرالية والحفاظة. وكما أن النضال من أجل الأجور في لندن أسهم في تكوين حزب صناعي ملكي قوي في موسكو، كذلك فإن احتدام انتفاضة فلاحية عنيفة في ليفونيا أدى إلى تصفية ليبرالية الرمنستوف» ٢ «الاريسوقراطية-الزراعية الشهيرة تصفية سريعة.

ولكن في الوقت ذاته، مكنت النضالات الاقتصادية في ربيع وصيف عام ١٩٠٥ البوليتاريا المدينة من أن تتشكل ليا بعد دروس ينابر، وذلك بفضل التحريض النشط الذي قام به الاشتراكيون الديمقراطيون وفضل توجيههم. كما يمكن ذلك البوليتاريا من أن تلتزم بوضوح المهام المقبلة للثورة. وقد ارتبط بذلك أمر له طابع اجتماعي مستمر هو الانتفاع العام في مستوى معيشة البوليتاريا اقتصاديا واجتماعيا وفكريا.

ولقد انتهت إضرابات ينابر ١٩٠٥ بنجاح. ويمكن للدلالة على ذلك إيراد بعض الأمثلة فيما يتعلق ببعض الإضرابات التي قامت في وارسو وحدها والتي نفذها الاشتراكيون الديمقراطيون والليبراليون والليثيونيون. ففي المصانع الكبيرة لصناعة التعدين في وارسو وعددها ٢٢ مصنعا، حصل العمال بعد إضراب استمر أربعة أو خمسة أسابيع (ابتداء من ٢٥-٢٦ ينابر) على يوم عمل من تسع ساعات وزيادة في الأجور بنسبة ٢٥٪ وكذلك حصلوا على تنازلات أصغر متعددة. وفي الماشغل الكبيرة لصناعة الخشب في وارسو، وعددها اثني عشر مصنعا، حصل العمال في